



كانت أول تغريدة لي في فضاء "تويتر" بتاريخ (28 سبتمبر ٢٠٠٩م)، وحظيت بست إعادات! منذ ذلك الزمن وأنا دائم التواصل مع هذا البرنامج المؤثر العادل المحايد، المستوعب لكافة الأطياف والمشارب والمقاصد، ولا يكاد يمر يوم إلا ولـي عليه إطلالات في أويقات متفاوتة، ومنه أستقي الأخبار، وأرصد المستجدات، وأرقب التحولات ساعة ساعة.

حتى إني استغنيت عن معظم وسائل الاتصال، ولكن حبلي مع "تويتر" موصول لا ينقطع؛ تغريداً وتعليقأً وقراءة، وقام عندي مقام الإذاعة، والتلفزة، والصحافة، والهاتف، وبعض المجالس.

"تويتر" رسم لي خطة قراءة أكثر من ثلاثة كتب في الأمثال والحكم العربية والأجنبية؛ لأستلهـم منها تغريداتي التي لا تكون اقتباساً ولكنها نتاج الفكر حين يستثيره مثلـ عابر أو تجربة ثمينة أو مقولـة سائرة، وهو لون من القراءة لم أكن أتعاطـاه من قبل، ومن فوائده التدريب على الصياغـة القصيرة والبلغـة والجامعة.

كسبـت منه أصدقاء لا أراهم بعـيني إلا لاماً، ولكـني أقرؤـهم صباحـ مساء، لا تحـول بيـني وبينـهم حدـود ولا مـسافتـ ولا جـدران، لا أراهم وجـهاً لوجهـ بل قـلباً لـقلبـ وروحـاً لـروحـ، ولا يضـيعـ الوقتـ في تـوديعـ واستـقبالـ ووجـباتـ ومجـاملـاتـ (خذـ فـنجـالـ)!

بـهم اتسـعتـ الحـيـاةـ، وامتدـتـ الـأـصـرـةـ، وتـلاقـتـ النـفـوسـ عـلـىـ تـلـمـسـ الطـرـيقـ واسـتـبـانـةـ السـبـيلـ، ليسـ عـبـرـ تـلـاقـيـ العـيـنـ بـالـعـيـنـ بلـ عـبـرـ قـدـحـ زـنـادـ الـحـرـفـ..

حينـ أـسـمـعـ أـنـ فـلـانـاًـ غـادـ عـالـمـاـ الجـمـيلـ أـشـعـرـ بـوـحـشـةـ وـكـانـهـ جـارـ عـزـيزـ تـعـوـدـنـاـ عـلـيـهـ مـنـ دـهـورـ، وـهـاـ هوـ يـقـوـضـ خـيـامـهـ رـاحـلاـ منـتـجـعـاـ يـطـلـبـ الرـبـيعـ فـيـ مـوـضـعـ آـخـرـ، وـلـسـانـ حـالـيـ يـقـولـ:

يا زـينـ بـالـلـهـ لـاـ نـوـيـتوـاـ تـشـدـوـنـ *** شـدـوـنـ مـعـ الجـالـ الشـمـالـيـ وـرـاكـمـ!

تكلفون من قدّامنا لا تمرّون *** لا تشغفون قلوبنا يا قصرناكم!

تناسخ البرامج وتزاحمها أصبح يشبه تنافس الأسواق، وإذا فقدت صديقاً هنا فعليك أن تبحث عنه هناك، وقد يكون تسلل إلى برامح خاصة لا تستوعب عدداً كبيراً..

(القروبات) المبرمجة؛ التي تدشن حملات تشويه وإسقاط أو هجمات مرتبطة لأسباب مصلحية أو طائفية أو سياسية هي أحد الوجوه المظلمة، والتي تحمل بعضاً على هجر "تويتر" إلى غير رجعة أو هجره مؤقتاً.

ولكن هكذا شأن الحرية هي لك ولخصمك، ومن حقك أن تعمل حظراً على من لا تريد إذا ضفت به ذرعاً، والأجدر بك أن تتجرع مراتبه، وتتمر به من الكرام، وتعده درساً أتيح لك؛ لتعرف أن الناس (مدافن شوك)!، ولتعرف طبائع الناس وأذواقهم وأخلاقهم وربما أرزاقهم أيضاً!

من المحال أن تكتب تغريداً يفهمه الناس كلهم؛ فضلاً عن أن يستوعبوا أو يتقبلوه حتى لو افترضت فيهم حسن النية وبراءة المقصد والحياد، على أن الحياد نفسه عزيز المثال، وهذا مما رأيته في فضاء "تويتر"رأي العين حتى لأناس ذوي فضل ونبل، ولا ينفك أحد منهم عن ضغوط ومؤثرات ظاهرة وخفية، ومنها المتابعون أنفسهم فهم أحد أدوات صناعة الوسط والمصالح الذي يتحرك فيه المفرد ويراعيه، ولهم يد في خفض سقف الحوار، والحرية، والنقد، والمشاغلة بجزئيات وقضايا جانبية عما هو أهم.

ومن هنا تعلمت أن أتجاوز موضوعات كثيرة، فلا أقف عندها؛ لأنها لا تستحق كل هذا الاحتفاء!

وأدركت أن التعليق على بعض الموضوعات لا يُقدم ولا يؤخر من الناحية العملية، وقد يقول لي صديق: تغريدة خارج السرب! وهل المطلوب أن تكون جميحاً سرياً؟ وإنني أنساء هل يصح ما يظنه بعض الأحبة من أن كلمة من هذا أو ذاك تغير مجرى الأحداث فوراً؟ مع الإيمان بأهمية الكلمة وضرورتها كشهادة في حالات وأوضاع، فهي الشجرة الطيبة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، لكننيأشك في الجاهزية التي يظنها شاب يعتقد أن الأمة تضع يدها على الزناد تنتظر بياناً أو فتوى..

وخاصة بعدما قرأت كتاب (سيكولوجية الجماهير) لـ"غوستاف لوبيون":

قد أحول رأيي في مسائل إلى مقال يتسع لبسط وتفصيل لا يحتمله التغريدة.

الحشد الهائل من الوثائق والأخبار والمعلومات الصادرة عن جهات معتمدة يغنىك عن زيف الشائعات والظنون والأكاذيب؛ التي تجد طريقها بيسر لتنشر في الآفاق، و(كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ) رواه مسلم.

متابعون كثر يخلطون بين الخبر والتحليل، ويغفلون عن التوثيق والتحقيق والتأنّي والصبر، وربما أصابوا قوماً بجهالة فأصبحوا على ما فعلوا نادمين.

من "تويتر" تبيّن لي أن المنطقة العربية حالياً لا تُحضر نفسها لمشاريع بناء، وتنمية، ونهوض، واستيعاب، ومنافسة.. كلام؛ هي تعمل جهدها في مشاريع افتعال، وتأجيج، وصناعة الصراع، والتخندق، والتصفيات، والهجوم، والهجوم المضاد، وإشغال كل أحد بنفسه عن أن يفكر أو يتكلم للمجموع أو يكون مهموماً بشأن وطني؛ لأن المطلوب منه أولاً أن يثبت وراءه ووطنيته بكل مناسبة، ووفق الطريق والأسلوب المتبع، وحين يفعل فسيكون في كلامه ثغرات تكفي لعدد من الأوسمة (الهاشتاكات)؛ الراخمة بالحسابات الوهمية والأسماء المجهولة.

خمس سنوات في "تويتر" لا تمنع متابعاً دخل لتوجه لهذا العالم الرحيب وشعر أنه استعاد حنجرته، وأن بقدرته أن يخاطب

أكبر رأس وأصغر رأس، فكيف أستكثّر عليه أن يعاتبني قائلًا: أنت تكرر نفسك!

موقع د. سلمان بن فهد العودة

المصادر: